اجتهادات
أم البطل

(ابنى حبيبى يا نور عينى/بيضربوا بيك المثل/كل الحبايب بتهنينى/طبعًا مانا أم البطل). هذا مطلع أغنيةٍ شدت بها الفنانةُ الكبيرةُ شريفة فاضل, التى رحلت عن هذه الدنيا فى هدوء وسلام قبل أيام. أقوى الأغنيات التى قُدمت خلال حرب أكتوبر وبعيدها, وأكثرها تأثيرًا. غنتها بإحساسٍ أكثر من صادق يجمعُ بين الالم والزهو. وكيف لا, والأغنيةُ عن ابنها الذى استُشهد فى إحدى معارك الاستنزاف قبيل حرب العبور.

أبكت الأغنيةُ ملايين المصريين, وعربًا آخرين, وصلهم صدقُها ومعناها العميق والبسيط, فكان فى بكائهم مزيج من التعاطف مع الفنانة الكبيرة والفرح لنصرٍ طال انتظاره.وكان لكلمات الشاعرة الجميلة نبيلة قنديل, ولحن الموسيقار المبدع على اسماعيل, فضلُ فى قوة الأغنية, التى ستبقى علامةً فى تاريخ الفن العربى, مثلُها فى ذلك مثلُ أغنيتها عن الشهر الفضيل التى تقولُ فى مطلعها (تم البدر بدرى/والأيام بتجرى/والله لسه بدرى والله يا شهر الصيام..).

أغنيتان ستبقيان خالدتين على مر الأجيال دخلت بهما شريفة فاضل تاريخ الغناء العربى من أوسع أبوابه. وهما من الأغانى القديمة القليلة التى يتفاعل معها أطفالُ وشبابُ, مثلما يحبها الأكبر سنًا. وكما تميز أداؤها فى الأغنية الوطنية بالصدق وعمق الإحساس, اتسمت أغنيتُها عن شهر رمضان بطابع روحانى يقل مثلُه فى أغانٍ دينيةٍ أخرى. وليست مصادفة, والحالُ هكذا, أنها أكثر أغانى الشهر الكريم ذيوعًا وانتشارًا. ففى أداء الراحلة الكريمة مزيجُ من الموهبة والدراسة, فضلاً عن أثر الوراثة. فهى حفيدةُ الشيخ أحمد ندا قارئ القرآن الأشهر فى أوائل القرن الماضى,

ورائد مدرسة التلاوة المصرية الحديثة, الذى تُروى عن تلاوته قصصُ تؤكدُ أننا خسرنا الكثير لأنه رفض تسجيل كلام الله عز وجل على اسطواناتٍ خشية أن يُسىء بعضُ الناس التعامل معها, أو يضعوها فى أماكن غير لائقة.

رحلت شريفة فاضل, فشُيعها جمع غفيرُ من محبى فنها البسطاء فى غياب من يُطلقُ عليهم نجومُ. ولعل هذا فألُ حسنُ لها فى عالم الحقيقة الذى انتقلت إليه. اللهم إنى أسألك بإحسانك وإنعامك أن تتقبلها فى واسع رحمتك, وأن تغفر لها ذنوبها, وتُجزيها خيرًا عن حسناتها.